بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدنا الله.

وصلى الله على نبينا محمد الذي تركنا على المحجَّة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، وعلى آله وصحبه الذين اختارهم واصطفاهم وجعل الناجي منا من كان على طريقتهم وسلك سبيلهم إلى يوم الدين.

أما بعد،

فهذا أبواب ومباحث مختارة من كتابي: «الجامع في كتب الإيمان والرد على المرجئة». وهو عبارة عن مجلدين:

الأول: «المدخل لكتاب الجامع في كتب الإيمان والرد على المرجئة».

والثاني: وقد احتوى على عشرة كتب:

١ - كتاب «الإيمان» لأبي عُبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ).

٢ - كتاب «الإيمان» لابن أبي شيبة (٢٣٥هـ).

٣ - كتاب «الإيمان» لأحمد بن حنبل (٢٤١هـ).

٤ - كتاب «الإيمان» لابن أبي عمر العدني (٢٤٣هـ).

٥ - قطعة يسيرة من كتاب «الإيمان» لمحمد بن أسلم الطوسي (٢٤٢هـ).

٦ - «شرح الإيمان والإسلام ..» للزبير بن أحمد الزُّبيري (٣١٨هـ).

٧ - مسائل الإيمان والرد على المرجئة من «نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام» للكرجي القصَّاب المتوفي تقريبًا (٣٦٠هـ).

٨ - مسائل الإيمان والرد على المرجئة من كتاب «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» لأبي الحسين الملطي الشافعي (٣٧٧هـ).

٩ - كتاب «مسائل الإيمان» للقاضي أبي يعلى الحنبلي (٤٥٨هـ).

١٠ - مسائل الإيمان والرد على المرجئة من كتاب: «الحُجَّة في بيان المَحَّجة في شرح التوحيد ومذهب أهل السُّنة» لقوام السُّنة التميمي الأصبهاني (٥٣٥هـ).

فهذه عشرة كتب في تقرير مسائل الإيمان وبيان عقيدة السلف وأصحاب الحديث فيها، والرد على المرجئة والجهمية والخوارج وسائر الفرق المخالفة.

وقد قدَّمت بين هذه الكتب بمقدمات مهمة عن الإيمان، ومعناه في اللغة وعلاقته بالشرع، ونقل الإجماع على أنه ثلاثة أركان لا يصح إيمان العبد إلَّا باجتماعها فيه، ثم أطلت الكلام عن (جنس العمل) الذي يصح به إيمان العبد، وبينت أنه (الصلاة) لتظافر الأدلة والإجماع عليها.

ثم عرَّجت بذكر المباحث والفصول المتعلقة بفرق المرجئة، وحقيقة مذاهبهم في الإيمان، وأقوال السلف الصالح ومن بعدهم في بيان حقيقة هذا المذهب ونشأته، وأبرز المسائل التي خالفوا فيها، ثم تتبعت كلام أهل السُّنة والعلم في الحكم على هذه الفرقة بالبدعة، والخروج من السُّنة، وأنهم من أصول البدع والفرق الضالة الهالكة، ثم جمعت كلام أئمة السُّنة فيمن رُمي بالإرجاء ووقع فيه، وموقفهم منه، وتبعت هذه المباحث بفصول كثيرة مهمة تكشف عن حقيقة هذا المذهب وخطروة، وقد ختمت هذه المقدمات بموقف أئمة المرجئة ومن بعدهم من العقيدة والسُّنة وأهلها؛ حتى يتبين للمنصف أن الخلاف بين الطائفتين كبير، وأنه خلاف حقيقي يترتب عليه كثير من الأحكام والمعاملات.

وقد اسخرت الله تعالى في تنزيل بعض المباحث والأبواب من هذا الكتاب على حلقات متتابعة ليسهل الوصول إليها وقراءتها وتداولها.

والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

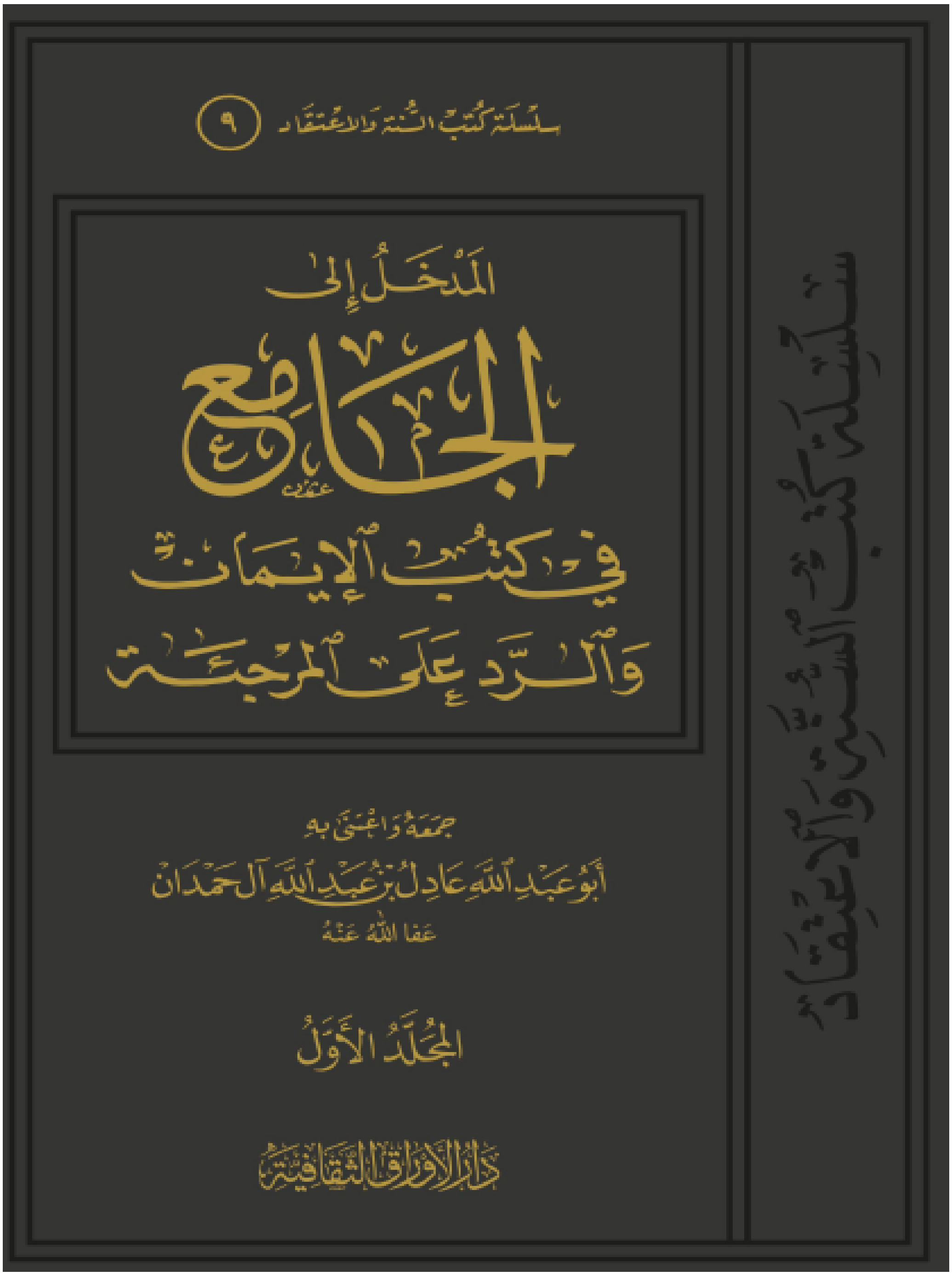
أبو عبدالله

عادل بن عبدالله آل حمدان

adelalhmdan@gmail.com

نقل الاتفاق على ركنية العمل خلافًا للمرجئة الذين يقولون : العمل شرط كمال في الإيمان ، وفرع من فروعه

الحلقة الأولى من كتاب :



المبحث الثاني

الإيمان في الشرع: ما اشتمل على ثلاثة أركان لا يصح إيمان العبد إلا باجتماعها فيه

أجمع أهل السُّنَّة من السلف الصالح ومن بعدهم على أن للإيمان ثلاثة أركان: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان لا يصح إيمان العبد إلَّا باجتماعها فيه، ولقد تنوعت عباراتهم في ذلك:

فمنهم من يقول: الإيمان قول وعمل.

ومنهم من يقول: الإيمان قول، وعمل، ونية.

ومنهم من يقول: الإيمان قول، وعمل، ونية، وموافقة السُّنَّة.

وكل ذلك صحيح ومضمونه واحد وهو الرد على المرجئة الذين أخرجوا العمل من الإيمان، وصححوا إيمان العبد بدون عمل مع القدرة عليه.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٧٠): ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السُّنَّة في تفسير الإيمان: تارة يقولون: (هو قول وعمل)، وتارة يقولون: (هو قول وعمل ونية)، وتارة يقولون: (قول وعمل ونية واتباع السُّنَّة)، وتارة يقولون: (قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح)، وكل هذا صحيح... المقصود هنا أن من قال من السلف: (الإيمان قول وعمل)، أراد قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح.

ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلَّا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب.

ومن قال: (قول وعمل ونية)، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه (النية)، فزاد ذلك.

ومن زاد (اتباع السُّنَّة)؛ فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلَّا باتباع السُّنَّة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال؛ ولكن كان مقصودهم الرد على (المرجئة) الذين جعلوه قولًا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام، فسَّروا مرادهم، كما سُئل سهل بن عبد الله التستري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسُنَّة؛ **لأن الإيمان إذا كان قولًا بلا عمل؛ فهو كفر**، وإذا كان قولًا وعملًا بلا نية؛ فهو نفاق، وإذا كان قولًا وعملًا ونيةً بلا سُنَّة؛ فهو بدعة. اهـ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في «عدة الصابرين» (ص٢٠٦): الإيمان قول وعمل، والقول: قول القلب واللسان، والعمل: عمل القلب والجوارح.

وبيان ذلك: أن من عرف الله بقلبه، ولم يقر بلسانه لم يكن مؤمنًا، كما قال عن قوم فرعون: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وكما قال عن قوم عاد وقوم صالح: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [العنكبوت: ٣٨]، وقال موسى لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

فهؤلاء حصل لهم قول القلب وهو: المعرفة والعلم، ولم يكونوا بذلك مؤمنين.

وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه لم يكن بذلك مؤمنًا، بل كان من المنافقين.

وكذلك من عرف بقلبه وأقرَّ بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمنًا حتى

يأتي بعمل القلب من الحب والبغض، والموالاة والمعاداة، فيحب الله ورسوله، ويوالي أولياء الله، ويعادي أعداءه، ويستسلم بقلبه لله وحده، وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته، والتزام شريعته ظاهرًا وباطنًا.

وإذا فعل ذلك لم يكفِ في كمال إيمانه حتى يفعل ما أُمر به.

فهذه **الأركان الأربعة** هي أركان الإيمان التي قام عليها بناؤه، وهي ترجع إلى علم وعمل. اهـ.

قلت: وقوله: (كمال إيمانه)؛ أي: كماله الواجب الذي لا يصح إيمان العبد إلَّا به، بدليل أنه جعله ركنًا من أركان الإيمان.

وسأقتصر هاهنا على قول من **نقل الإجماع على أن الإيمان تصديق وقول وعمل**، وأنه ثلاثة أركان لا يصح إيمان عبد إلّا باجتماعها فيه، وأما تتبع كلام أهل السُّنَّة في أن (الإيمان قول وعمل) فستقف عليه في كتب «الإيمان» التي بين يديك.

فمن ذلك:

١ ـ قال الزهري (١٢٥هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: كنا نقول: الإسلام بالإقرار، والإيمان بالعمل، والإيمان قول وعمل قرينان، لا ينفع أحدهما إلَّا بالآخر.
[رواه أبو عَمرو الطلمنكي كما في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٩٥)]

٢ ـ قال عبد الرحمٰن بن عَمرو الأوزاعي (١٥٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يستقيمُ الإيمانُ إلَّا بالقول، ولا يَستقيمُ القولُ إلَّا بالعملِ، ولا يستقِيمُ الإيمان والقولُ والعَمَلُ إلَّا بالنِّيةِ موافِقةٍ للسُّنَّة.

وكان مَن مَضَى مِن سلفِنا لا يُفرِّقون بين الإيمان والعملَ.

العملُ مِن الإيمانِ، والإيمانُ مِن العملِ.

وإنما الإيمان اسمٌ جامِعٌ كما يَجمعُ هذه الأديان اسمُها، ويُصَدِّقه العمل.

فمن آمنَ بلسانِه، وعرفَ بقلبه، وصدَّقَ ذلك بعملِه؛ فتلك العروةُ الوثقى التي لا انفصامَ لها.

ومَن قال بلسانِه، ولم يعرف بقلبِه، ولم يُصدّقه بعمَلِه؛ لم يقبل منه، وكان في الآخرةِ من الخاسرين. اهـ.

[«الإبانة الكبرى» (١١٨٣)]

٣ ـ قال سفيان الثوري (١٦١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: أهل السُّنَّة يقولون: .. لا يجوز عمل إلَّا بإيمان، ولا إيمان إلَّا بعمل.

[اللالكائي (١٧٩٢)]

وقال: ويقولون [يعني: أهل السُّنَّة]: الإيمانُ قولٌ وعَملٌ، مخافةَ أن يزكوا أنفسهم، لا يكون عملٌ إلَّا بإيمان، ولا إيمان إلَّا بعملٍ.

[«الشريعة» (٢٠٦٢)]

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: كان الفقهاء يقولون: لا يستقيم قولٌ إلَّا بعملٍ، ولا يستقيمُ قولٌ وعملٌ إلَّا بنيَّةٍ، ولا يستقيمُ قولٌ وعملٌ ونيةٌ إلَّا بموافقةٍ للسُّنة.

[«الإبانة الكبرى» (١١٨٥)]

٤ ـ قال وكيع بن الجراح (١٩٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: قال أهل الإيمان: لا يجزئ قول إلَّا بعمل وبعقد.

[«ذم الكلام وأهله» (٤٧٢)]

٥ ـ قال سفيان بن عيينة (١٩٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، أخذناه ممن قبلنا: قولٌ وعَمَلٌ، وأنه لا يكون قول بغيرِ عمل.

[«السُّنَّة» لعبد الله (٧١٦)]

٦ ـ قال محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون: إن الإيمان:

قول، وعمل، ونية، لا يُجزئ واحد من الثلاثةِ إلّا بالآخر.

[نقله اللالكائي (١٥٩٣)، وابن تيمية في «الإيمان» (ص١٩٧) كلاهما من كتاب «الأم» للشافعي، وقال ابن كثير في «طبقات الشافعية» (١/ ٤): وقد نقل الطبري [يعني: اللالكائي] عن الإمام الشافعي أنه حكى الإجماع على ذلك، كما حكاه غيره من الأئمة. وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠٤): وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم]

قلت: وقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا لا يزال أهل العلم من أهل السُّنَّة وغيرهم إلى وقتنا هذا يتناقلونه في كتبهم، ويحتجون به على المرجئة من غير نكيرٍ ولا اعتراضٍ عليه حتى نجم شرذمة من مرجئة عصرنا فحاولوا ردَّه والتشكيك فيه فأتوا بما لم يسبقوا إليه، حتى من الأشاعرة ممن ينتسب إلى الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنهم لم يطعنوا في صحَّة نسبته إليه بل ينقلونه ويثبتونه عنه، ولكنهم يعدونه قولًا مناقضًا لقولهم في الإيمان، كالرازي مثلًا فإنه نقله في كتابه «مناقب الشافعي» وأثبته عنه، ثم استغربه بقوله (ص١٣٥): واعلم أن قول الشافعي لا يمكن جعله من المعائب، فإن الذي ذهب إليه مذهب قويٌّ في الاستدلال والاحتجاج به، إلا أن الذي اختاره علماء الأصول من أصحابنا هو هذا القول الثاني.

يعني: أن الإيمان هو التصديق موافقة للجهمية في الإيمان كما سيأتي.

وقد استصعب الرازي هذا القول من الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولم يجرأ على التعرض له بشيء، فقال: وهذا في غاية الصعوبة؛ لأنه لو كان الإيمان اسمًا لمجموع أمور فعند فوات بعضها فقد فات ذلك المجموع فوجب أن لا يبقى الإيمان. اهـ.

قلت: وهذا على اعتقادهم أن الإيمان شيءٌ واحدٌ إذا زال بعضه زال كله كما سيأتي بيانه.

والمقصود أن أئمة الأشاعرة لم يشككوا في صحة هذا القول عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ خلافًا لمرجئة عصرنا!

٧ ـ قال أبو عُبيد القاسم بن سلَّام (٢٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإيمان» (٤١): فالأمر الذي عليه السُّنَّة عندنا، ما مضى عليه علماؤنا ما اقتصصنا في كتابنا هذا: أن الإيمان بالنية، والقول، والعمل جميعًا.اهـ.

٨ ـ قال موسى بن هارون الحمَّال: أملى علينا إسحاق بن راهويه (٢٣٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص، لا شكَّ أن ذلك كما وصفنا، وإنما عقلنا هذا بالروايات الصحيحة، والآثار العامة المُحكمة، وآحاد أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين وهلمَّ جرًّا على ذلك، وكذلك بعد التابعين من أهل العلم على شيءٍ واحدٍ لا يختلفون فيه، وكذلك في عهد الأوزاعي بالشام، وسفيان الثوري بالعراق، ومالك بن أنس بالحجاز، ومعمر باليمن على ما فسَّرنا وبيَّنا: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

[رواه أبو عمرو الطلمنكي كما في «مجموع الفتاوى» (٧/٣٠٨)]

٩ ـ قال محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لقيت أكثر من ألف رجلٍ من العلماء بالأمصار... فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص.

[رواه اللالكائي (٣٢٠)]

١٠ ـ قال المُزني (٢٦٤هـ) تلميذ الشافعي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ في «شرح السُّنَّة»: والإيمان قول وعمل مع اعتقاده بالجنان، قول باللِّسانِ، وعمل بالجوارح والأركان، وهما سيان ونظامان وقرينان لا نُفرِّق بينهما، لا إيمان إلَّا بعمل، ولا عمل إلَّا بإيمان..

ثم قال: هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهدى، وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوة ورضى.اهـ.

[انظر: كتابي «الجامع في عقائد ورسائل أهل السُّنَّة والأثر» (ص٥٠٥)]

١١ ـ قال أبو يوسف يعقوب بن سفيان (٢٧٧هـ) رَحِمَهُ اللهُ: الإيمان عند أهل السُّنَّة: الإخلاص لله بالقلوب والألسنة والجوارح، وهو قول وعمل يزيد وينقص، على ذلك وجدنا كل من أدركنا من عصرنا: بمكة، والمدينة، والشام، والبصرة، والكوفة، منهم: أبو بكر الحميدي، وعبد الله بن يزيد المقرئ في نظرائهم بمكة، وإسماعيل بن أبي أويس، وعبد الملك بن عبد العزيز الماجشون، ومطرف بن عبد الله اليساري في نظرائهم بالمدينة.

ومحمد بن عبد الله الأنصاري، والضحاك بن مخلد، وسليمان بن حرب، وأبو الوليد الطنافسي، وأبو النعمان، وعبد الله بن مسلمة في نظرائهم بالبصرة.

وعبيد الله بن موسى، وأبو نعيم، وأحمد بن عبد الله بن يونس في نظرائهم كثير بالكوفة.

وعَمرو بن عون بن أوس، وعاصم بن علي بن عاصم في نظرائهم بواسط.

وعبد الله بن صالح كاتب الليث، وسعيد بن أبي مريم، والنضر بن عبد الجبار، ويحيى بن عبد الله بن بكير، وأحمد بن صالح، وأصبغ بن الفرج في نظرائهم بمصر.

وابن أبي إياس في نظرائهم بعسقلان.

وعبد الأعلى بن مسهر، وهشام بن عمار، وسليمان بن عبد الرحمٰن، وعبد الرحمٰن بن إبراهيم في نظرائهم بالشام.

وأبو اليمان الحكم بن نافع، وحيوة بن شريح في نظرائهم بحمص.

ومكي بن إبراهيم، وإسحاق بن راهويه، وصدقة بن الفضل في نظرائهم بخراسان، كلهم يقولون: الإيمان القول والعمل، ويطعنون على المرجئة، وينكرون قولهم. اهـ.

[رواه اللالكائي (١٧٥٣)]

١٢ ـ قال حرب الكرماني (٢٨٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا مذهبُ أئمَّةِ العلمِ، وأصحابِ الأثرِ، وأهلِ السُّنَّةِ المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركتُ مَن أدركتُ مِن علماءِ أهلِ العراقِ، والحجازِ، والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهبِ، أو طعنَ فيها، أو عابَ قائلها؛ فهو مخالف، مبتدعٌ، خارجٌ مِن الجماعةِ، زائلٌ عن منهجِ السُّنَّةِ وسبيلِ الحقِّ، وهو مذهبُ: أحمدَ، وإسحاقَ بن إبراهيم بن مخلد، وعبد الله بن الزُّبير الحُميدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم ممن جالسْنا، وأخذنا عنهم العلمَ، فكان مِن قولهم: الإيمانُ قولٌ، وعملٌ، ونيةٌ، وتمسُّكٌ بالسُّنَّة. اهـ.

[«السُّنَّة» لحرب الكرماني (٢) بتحقيقي]

١٣ ـ قال الآجري (٣٦٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في «الأربعين» (ص١٢٦): اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو التصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ثم اعلموا رحمنا الله وإياكم أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب وهو التصديق إلَّا أن يكون معه إيمان باللسان، وحتى يكون معه نطق، ولا تجزئ معرفة بالقلب والنطق باللسان حتى يكون معه عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الخصال الثلاثة كان مؤمنًا حقًّا، دل على ذلك: الكتاب، والسُّنَّة، وقول علماء المسلمين.. هذا مذهب علماء المسلمين قديمًا وحديثًا، فمن قال غير هذا: فهو مرجئٌ خبيثٌ، احذره على دينك. اهـ.

١٤ ـ قال ابن بطة (٣٨٧هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (١١٣١): اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن الله جلَّ ثناؤه، وتقدَّست أسماؤه:

أ ـ فرض على القلب: المعرفة به، والتصديق له ولرسله ولكتبه، وبُكلّ ما جاءت به السُّنَّة.

ب ـ وعلى الألْسُن: النطق بذلك والإقرار به قولًا.

ج ـ وعلى الأبدان والجوارح: العمل بكلِّ ما أمر به وفرضه من الأعمال.

لا تجزئ واحدة من هذه إلَّا بصاحبتها، ولا يكون العبد مؤمنًا إلَّا بأن يجمعها كلها حتى يكون:

أ ـ مؤمنًا بقلبه.

ب ـ مُقرًّا بلسانه.

ج ـ عاملًا مُجتهدًا بجوارحه.

ثم لا يكون ـ أيضًا ـ مع ذلك مؤمنًا حتى يكون:

د ـ موافقًا للسُّنَّة في كلِّ ما يقوله ويعلمه، مُتبعًا للكتاب والعلم في جميع أقواله وأعماله.

وبكلِّ ما شرحته لك نزل القرآن، ومضت به السُّنَّة، وأجمع عليه علماء الأُمَّة. اهـ.

١٥ ـ قال ابن تيمية (٧٢٨هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الرَّدّ على الشاذلي» (ص٢٠٨): مذهب الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وجماهير السلف من التابعين لهم بإحسان وعلماء المسلمين: أن الإيمان قول وعمل؛ أي: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح. اهـ.

وقال أيضًا في «مجموع الفتاوى» (٧/٣٠٧): ولهذا كان القول أن

الإيمان قول وعمل عند أهل السُّنَّة من شعائر السُّنَّة وحكى غير واحد الإجماع على ذلك، وقد ذكرنا عن الشافعي ﵁ ما ذكره من الإجماع على ذلك... إلخ.

وقال (٧/ ٦٧٢): وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ومعنى ذلك: أنه قول القلب وعمل القلب، ثم قول اللسان وعمل الجوارح. فأما قول القلب فهو التصديق الجازم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ... إلخ.

١٦ ـ قال ابن رجب (٧٩٥هـ) ﵀ في «فتح الباري» (١/ ٥): قال البخاري: الإيمان قول وفعل، وأكثر العلماء قالوا: هو قول وعمل.

وهذا كله إجماع من السلف وعلماء أهل الحديث، وقد حكى الشافعي إجماع الصحابة والتابعين عليه، وحكى أبو ثور الإجماع عليه أيضًا.

وقال الأوزاعي: كان من مضى ممن سلف لا يُفرِّقون بين الإيمان والعمل، وحكاه غير واحدٍ من سلف العلماء عن أهل السُّنَّة والجماعة، وممن حكى ذلك عن أهل السُّنَّة والجماعة: الفضيل بن عياض، ووكيع بن الجراح. اهـ.

١٧ ـ قال ابن القيم (٧٥١هـ) ﵀ في «زاد المعاد» (٣/ ٥٣١): إن الإيمان بالله هو مجموع هذه الخصال من القول والعمل، كما على ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعون، وتابعوهم كلهم، ذكره الشافعي في «المبسوط»، وعلى ذلك ما يقارب مائة دليل من الكتاب والسُّنَّة. اهـ.

١٨ ـ قال محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ) ﵀ في «كشف الشبهات» (ص٢٩): لا خلاف أن التوحيد لا بُدَّ أن يكون بالقلب

واللسان والعمل، فإن اختلَّ شيءٌ من هذا لم يَكُن الرَّجل مُسلمًا، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند ككفر فرعون وإبليس وأمثالهما. اهـ.

١٩ ـ قال عبد الرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٨٥هـ) رَحِمَهُمُ اللَّهُ في «فتح المجيد» (ص٣٤٨): فلا ينفع القول والتصديق بدون العمل، فلا يَصْدُق الإيمان الشرعي على الإنسان إلَّا باجتماع الثلاثة: التصديق بالقلب وعمله، والقول باللسان، والعمل بالأركان، وهذا قول أهل السُّنَّة والجماعة سلفًا وخلفًا. اهـ.

٢٠ ـ قال سُليمان بن سَحمان (١٣٤٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: فلا بدَّ في شهادة ألا إلٰه إلَّا الله من اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان، فإن اختلَّ نوع من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلمًا، فإذا كان الرجل مسلمًا، وعاملًا بالأركان، ثم حدث منه قول أو فعل أو اعتقاد يناقض ذلك؛ لم ينفعه قول: لا إلٰه إلَّا الله؛ وأدلة ذلك في الكتاب والسُّنَّة، وكلام أئمة الإسلام أكثر من أن تحصر. اهـ.

[«الدرر السنية» (٢/ ٣٥٠)]

٢١ ـ قال محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣٨٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرحه لكشف الشبهات» (ص١٢٦): بل إجماع بين أهل العلم (أن التوحيد لا بُدَّ أن يكون بالقلب واللسان والعمل)، فلا بُدَّ من الثلاثة؛ لا بُدَّ أن يكون هو المعتقد في قلبه، ولا بُدَّ أن يكون هو الذي ينطق به لسانه، ولا بُدَّ أن يكون هو الذي تعمل به جوارحه (فإن اختلَّ شيءٌ من هذا) لو وحَّد بلسانه دون قلبه ما نفعه توحيده، ولو وحَّد بقلبه وأركانه دون لسانه ما نفعه ذلك، ولو وحَّد بأركانه دون الباقي (لم يكن الرجل مسلمًا)، هذا إجماع أن الإنسان لا بُدَّ أن يكون موحِّدًا باعتقاده ولسانه وعمله. اهـ.

٢٢ ـ قال عبد الرحمٰن بن قاسم (١٣٩٢هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «حاشية الدرة المضية» (ص٧١): إيماننا معشر السلف: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، فإن من لم يقرّ بلسانه مع القدرة فليس بمؤمن، ومن أقرَّ بلسانه ولم يعتقد بقلبه فهو منافق، وليس بمؤمن، ومن لم يعمل بالقلب والجوارح فليس بمؤمن، فمذهب السلف: أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان. اهـ.

فهذه بعض الإجماعات التي نقلها أهل العلم في كتبهم، يتناقلها أئمة السُّنَّة خلفًا عن سلف، يحتجون بها على المرجئة الذين يسقطون ركنية العمل من الإيمان.

واعلم ـ وفقك الله لاتباع السُّنَّة ـ أن مرجئة الفقهاء الأوائل قد صرحوا بإخراج العمل من الإيمان، وتابعهم على ذلك جميع طوائف المرجئة من الجهمية والأشعرية والكرامية فاتفقوا جميعًا على إسقاط العمل من الإيمان وتصحيح إيمان العبد بدونه، وإن كان قد حصل بينهم خلاف فيما يكون به العبد مؤمنًا، فمنهم من يقول بالتصديق والقول، ومنهم من يقول بالمعرفة فقط، ومنهم من يقول بالقول فقط.

ثم جاء مرجئة عصرنا فجمعوا بين المتناقضات جهلًا منهم بحقيقة قول السلف الأوائل في الإيمان أو إعراضًا عنه، فوافقوا السلف في الظاهر، فقالوا: (الإيمان قول وعمل)، ثم نقضوا قولهم فوافقوا المرجئة في حقيقة قولهم، فقالوا: (العمل شرط كمال في الإيمان)، (أو فرع من فروعه)، فصححوا إيمان العبد بدونه، فرجعوا إلى حقيقة قول المرجئة كما سأبيِّن ذلك في الفصل التالي.

وقد اعترف بذلك الكوثري الحنفي المرجئ الجهمي في كتابه

«تأنيب الخطيب» فقال: كان في زمن أبي حنيفة وبعده أناس صالحون يعتقدون أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، يَرْمُون بالإرجاء من يرى الإيمان العقد والكلمة، مع أنه الحق الصُّراح.. وهؤلاء الصالحون باعتقادهم ذلك الاعتقاد أصبحوا على موافقة المعتزلة أو الخوارج حتمًا إن كانوا يعُدُّون خلاف اعتقادهم هذا بدعة وضلالة؛ لأن الإخلال بعمل من الأعمال ـ وهو ركن الإيمان في نظرهم ـ يكون إخلالًا بالإيمان، فيكون من أخلَّ بعمل خارجًا من الإيمان، إما داخلًا في الكفر كما يقول الخوارج، وإما غير داخل فيه بل منزلة بين المنزلتين: الكفر والإيمان، كما هو مذهب المعتزلة.

وهم من أشد الناس تبرؤًا من مذهب الفريقين، فإذا تبرؤا أيضًا مما كان عليه أبو حنيفة وأصحابه وباقي أئمة هذا الشأن، يبقى كلامهم متهافتًا غير مفهوم، وأما إذا عدوا العمل من (كمال الإيمان) فقط فلا يبقى وجه التنابز والتنابذ، لكن تشددهم هذا التشدد يدل على أنهم لا يعدون العمل من (كمال الإيمان) فحسب، بل يعُدُّونه ركنًا أصليًّا ونتيجة كما ترى.اهـ.

وقال في «الترحيب بنقد التأنيب»: وعند من يرى أن العمل من (كمال الإيمان) لا يكون في الأمر خلاف يوجب إساءة القول في أحد القولين.اهـ.

فقد استنتج هذا الحنفي المرجئ من تشديد أئمة السلف على المخالفين في هذه المسألة أن العمل عندهم (ركن أصلي في الإيمان) لا يصححون إيمان العبد إلَّا به، ولو كانوا يقولون: (إن العمل كمال في الإيمان) كقول مرجئة عصرنا لما كان بينهم وبين المرجئة فرق ولا تنازع؛ ولأصبح الخلاف بينهم لفظيًا لا أثر له فالجميع قد اتفقوا على تصحيح إيمان العبد من دون عمل.

يتبعه إن شاء الله:

الحلقة الثانية

فَصْلٌ

اتباع كثير من المتأخرين لمذهب المرجئة والجهمية في الإيمان وإسقاط ركنية العمل منه وتصحيحهم إيمان العبد بدون عمل وقولهم: إن العمل شرط كمال في الإيمان